**العمارة الإسلامية**

**المحاضرة الأولى**

**مدخل إإلى العمارة الإسلامية**

**مفهوم العمارة الإسلامية:**

يطلق مصطلح العمارة الإسلامية على المشيدات التي تحمل الخصائص البنائية التي استعملها المسلمون لتكون هوية لهم.

ظهرت العمارة الإسلامية في مناطق كثيرة من العالم وعلى مراحل زمنية مختلفة فنجد آثارها في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر والمغرب العربي وتركيا وإيران والهند والأندلس وغيرها.

وبما أن العمارة هي التي تعكس ثقافة الشعوب، وقدراتها العلمية وذوقها وفلسفتها، فهي تشكل الصورة الصادقة للحضارة وتعكس المبادئ الروحية على الحياة المادية.
وقد استمدت الأصول المعمارية الإسلامية مقوماتها الأولى من العقيدة الإسلامية إلى جانب إفادتها من التقاليد الفنية القديمة التي كانت سائدة حينذاك في الفنون العربية والساسانية والهيلينستية والبيزنطية، غير أنها ظلت تحتفظ بالروح الإسلامية، وابتكرت لنفسها عناصر معمارية وفنية خاصة لها كالمآذن والعقود الحذوية والعقود المفصَّصة والمقرنصات بأنواعها، وغيرها الكثير.

تأثرت العمارة الإسلامية بشكل كبير بتعاليم الدين الإسلامي والنهضة العلمية التي تبعته، وهي تختلف من منطقة إلى أخرى تبعاً للطقس والإرث المعماري السائد في المنطقة التي ظهر فيها. مثلاً: ينتشر الصحن المفتوح في الشام والعراق والجزيرة العربية بينما اختفى في تركيا نتيجة للجو البارد وفي اليمن بسبب الإرث المعماري.

وقد تطورت العمارة الإسلامية من حيث الشكل والوظيفة عبر الزمن وبتغير الظروف السياسية والمعيشية والثقافية للسكان. إذ نشأت كحرفة بسيطة في البناء في أبسط أشكاله، ثم تطورت حتى كوَّنت مجموعة الفنون المعمارية المختلفة.

تتميز الحضارة الإسلامية بشكل عام بأنها تأثرت بالحضارات التي كانت قائمة قبلها مع طبعها بالطابع الإسلامي المستمد من تعاليم الإسلام، وهي على خلاف كثيرمن الحضارات الأخرى لم تقم بطمس الحضارات السابقة بل طورتها واستمدت منها ورفدتها للوصول إلى أفضل نتاج حضاري ممكن.

**أنواع المشيدات في العمارة الإسلامية:**

ابتكر المسلمون أنواعاً عديدة من الأبنية والمشيدات منها ما كان موجوداً في الحضارات السابقة وقاموا بإضافة بعض العناصر عليه وتطويره بما يتناسب مع عاداتهم وتعاليمهم، ومنها ما كان جديداً تماماً فرضته تعاليم الدين الإسلامي والطقوس الدينية وطبيعة العلاقات في الإسلام.

ويمكن أن نجمل أهم المشيدات الإسلامية بما يلي:

**المساجد:** تُعد المساجد من أهم المباني التي تمتاز بها العمارة الإسلامية. وكان تخطيط المساجد الأولى بسيطًا؛ يتكون من مساحة مربعة محاطة بسور، وبها ظلة سقفها يتركز على عُمُد مصنوعة، أو مأخوذة من جذوع النخل أو من عُمُد منقولة من عمائر قديمة. ومن أهم أمثلة تلك المساجد مسجد الرسول في المدينة المنورة ومسجد الكوفة (14هـ، 635م) ومسجد البصرة (17هـ، 638م) ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط (20هـ، 640م) ومسجد القيروان في تونس (50هـ، 670م).

ولم تلبث المساجد أن أصبح لها نظام معماري واضح يتكون من صحن أوسط تحيط به أربع ظلات (أروقة) أكبرها ظلة القبلة التي تشتمل على المحراب والمنبر. ومن أمثلة هذا النوع مسجد المنصور في بغداد (154هـ، 770م) والمساجد العباسية في العراق ومصر.

ويوجد في كل مسجد المحراب الذي يعتبر بمثابة عمارة دلالية لتعين اتجاه القبلة (الكعبة)وقد اختيرت الهيئة المجوفة للمحراب لتوظيف التجويف في تضخيم صوت الإمام ليصل إلى المصلين خلفه في الصفوف

**المدارس:** ظهرت المدارس في أواخر القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، على يد السلاجقة. والتخطيط المعماري لتلك المدارس يتكون من صحن وأربعة إيوانات أكبرها إيوان القبْلة، وكان كل إيوان يُخصَّص لتدريس مذهب من المذاهب أو أكثر. وغالبًا ما يلحق بتلك المدارس مبنى لسكن الطلاب وسبيل للشرب وحوض لسقاية الدواب وميضأة (موضع للوضوء) وغيرها من الملاحق. ومن أشهر المدارس الإسلامية: المدارس النظامية في نيسابور والعراق والمدرسة المستنصرية في بغداد والمدرسة الصالحية في مصر ومدرسة قايتباي في الحجاز والمدرسة البوعنانية في المغرب والمدرسة الأشرفية في اليمن وغيرها الكثير.

**الأربطة (جمع رباط):** من المنشآت التي كانت تجمع بين الوظيفة الدينية والعسكرية حيث كان يقيم فيها المحاربون استعدادًا للجهاد أو للتعبد. ومن أشهر أمثلتها في العمارة الإسلامية رباط المنستير في تونس الذي شيده هرثمة في سنة 180هـ، 796م، ورباط سوسة في تونس أيضًا الذي شيده زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب سنة 206هـ، ورباط الأغوات في المدينة المنورة الذي شُيِّد في عام 706هـ، 1306م.

**البيمارستانات (المستشفيات):** حث الإسلام على الاستشفاء ومعالجة الأمراض. وكان من أثر ذلك اهتمام السلاطين ببناء البيمارستانات وتوفير ما يُحتاج إليه من أطباء وأدوية وأدوات طبية. ومن أشهر البيمارستانات في العالم الإسلامي بيمارستان السلطان قلاوون بالقاهرة، وبيمارستان النوري في دمشق، والبيمارستان الموحدي بمراكش.

إضافة إلى ذلك برع المسلمون في بناء القصور والحمامات والقنوات والقناطر المائية والحصون والقلاع وغيرها.

**العصور الإسلامية:**

نظراً لكون الحضارة الإسلامية امتدت على رقعة جغرافية كبيرة واستمرت لفترة تاريخية طويلة فإننا نجد اختلافاً في الطرز المعمارية بين الشرق والغرب بل نجد اختلافاً وتنوعاً كبيراً ضمن البلد نفسه باختلاف الحقب التاريخية والأنظمة السياسية التي تعاقبت عليه ضمن فترة الحكم الإسلامي.

فالعمارة التي ظهرت في صدر الإسلام في الجزيرة العربية تختلف كثيراً عن تلك التي ظهرت بعد عقود طويلة في نفس المنطقة خلال سيطرة الدولة العثمانية على سبيل المثال. كذلك الحال في العمارة التي ظهرت في بلاد الشام في فترة الحكم الأموي والتي تختلف اختلافاً كبيراً عن طرز العمارة الأيوبية التي تلتها بعد عدة عقود.

أما إذا نظرنا إلى نفس الفترة الزمنية فنجد مثلا أن الطرز المعمارية في الشرق في القرن السادس الهجري –حيث كان الحكم العباسي- مختلفة عن الطرز المعمارية في الغرب –حيث كان الحكم الأموي في الأندلس-

وليسهل دراسة جميع الطرز المعمارية فقد قسمت العمارة الإسلامية إلى عدة مجموعات بناء على العصور التي مرت بها الدولة الإسلامية.

ونظراً لكون العمارة الإسلامية كثيرة التنوع ومتعددة الطرز وممتدة الانتشار فلا مجال لإجمالها كلها لذلك سنكتفي بأبرز العصور الإسلامية وأقربها إلينا جغرافياً.

قسم الباحثون التاريخييون العصور الإسلامية اعتماداً على الفترات الزمنية التي حكمت خلالها الدول الإسلامية، وهي كثيرة ومتعددة سندرس منها خمسة حقب أساسية وهي:

1. عصر صدر الإسلام: وهو العصر الذي بدأ فيه الإسلام والدعوة إليه ويمتد من عصر النبوة وحتى نهاية الخلافة الراشدة.
2. العصر الأموي: يبدأ هذا العصر بتأسيس الدولة الأموية وينتهي بقيام الدولة العباسية عام 132هـ
3. العصر العباسي: يبدأ بقيام الدولة العباسية ويقسم تاريخياً غلى فترتينن أساسيتين :

العصر العباسي الأول: ومدته 100 عام تنتهي عام 232هـ وهو الذي شهد ازدهار العمارة والحضارة.

العصر العباسي الثاني: الذي يمتد بين عامي 232-656هـ ويبدو في هذا العصر حضور مصطلح الخلافة حضوراً رمزياً وقد شكل غزو المغول طمساً لمعظم الحضارات التي نشأت في تلك الفترة وما سبقها.

1. العصر الأيوبي والمملوكي: بدأ منذ القرن السادس الهجري حكم الأيوبيين ثم المماليك من 656-923هـ
2. العصر الأندلسي: وهو أيضاً يقسم إلى فترتين زمنيتين:

عصر الخلافة الأموية في الأندلس: الممتد من عام 132-422هـ

عصر ملوك الطوائف: حيث أصبحت الأندلس عبارة عن ممالك مقسمة حتى سقوط آخرها مدنها غرناطة عام 897 هـ.

وستتم دراسة المشيدات والطرز المعمارية لكل من هذ العصور على حدة.